

٤٨ منتجاً فلسطينياً*

جان لوك مولين

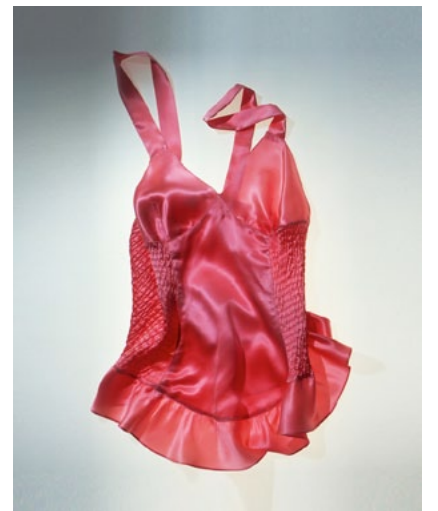
* عمل للفنان الفرنسي جان لوك مولين، ٢٠٠٢

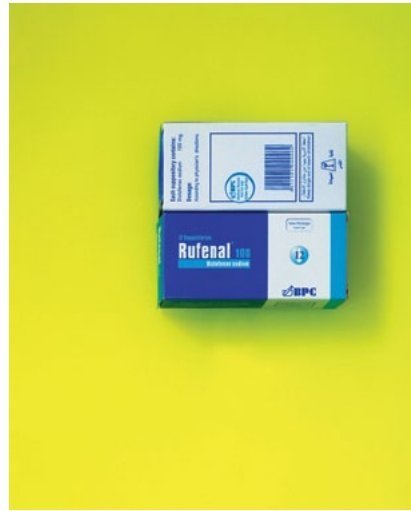












الاستعمالية - أي سحب قدرتها على الحاق أذى كبير بنظام الرموز المسيطر. أي كل ما يسمح للتجزئة بمتابعة عملها من دون اي إعاقة.

هذا تحديدا هو الهمّ الذي يقع في قلب مجموعة المصور الفرنسي جان - لوك مولان (Jean-Luc Moulene) الحاملة عنوان "منتجات فلسطينية"، والتي تسعى الى اختبار تجزئة فلسطين ليس كـ "حدث" بل كـ "إشارة"، وان تفعل ذلك باستهداف مباشر لخط التجزئة بين القابلية للرؤية وتعذرهما، معطيا قابلية الرؤية جملة من المنتجات الموجهة الى المستهلك - الذي لا نقاش في وجوده بالقدر الذي يبدو فيه مستحيلا - من اراضي هذا البلد المحتلة المنكر وجوده والمقدر له الوجود كموضوع للاحتلال بدل ان يكون ذاتاً منتجة. سيجادل مولان بأن العمل الفني ليست مهمته ان يكون موقعا للتهديئة؛ بكلمات ثانية، ليس دوره أن يوفر المصالحة في وجه واقع التجزئة غير القابل للتصالح. لكن ليس ان يكتفي أيضا، وبالكاد، باعادة انتاج منطق التجزئة.

بدلا من ذلك، أخذ "ضرورات اللغو" العائدة الى ممارسات الفن المفهومي، وانتزعه من منطق الندرة، مخترقا اقتصاد الواقع. من جهة، يُظهر تأليفاته الصورية المنتقاة بعناية للمنتجات الفلسطينية في الزمكان (الزمان- المكان) المحجوز للفن؛ ومن جهة ثانية، أعاد انتاج صور "ثمانية واربعين" منتجا بالضبط على آلاف الوريقات ليجري توزيعها بحرية، خارج دوائر توزيع الفن المعاصر.

أين تبتعد الأمور عن بعضها؟ السؤال هذا الملازم على نحو ما لكل أعمال مولين، حيوي لمجموعات "منتجات فلسطينية" التي تركز على الخط الرمزي للتجزئة بين او داخل المنتجات ذاتها، سواء عبر الانصهار او الانفصال. تصف الصور الاغراض كل اثنين معا - عبوتان بلاستيكيّتان لزيت الزيتون، علبتان معدنيتان لرب البندورة - او تركز على خط الدرز في التغليف: لتكون نقطة الانقطاع، خط التجزئة هو دائما نقطة اتصال.

وبعرض السلع الغذائية اليومية والثياب الداخلية والمحارم الورقية على خلفية محايدة حيادا مثاليا، تكتسب الصور وظيفة نابذة عن الواقع، مركزة في الشكل على عدم مواءمتها للأغراض، اي لطبيعتها كمنتجات "فلسطينية".

لكن ما الذي يجعل سلعة فلسطينية غير موائمة الى هذه الدرجة. لأنها تأتي من اراض محتلة وليست ذات سيادة، ليس للسلع المصنعة الفلسطينية قدرة وصول الى السوق العالمي. امعان النظر في صورة علبة من البسكويت بالشوكولا، يتيح للمرء رؤية "انتاج... القدس... شركة... قطاع غزة"، الى جانب شريط ترميز

منتجات التجزئة

ستيفن رايت

نعيش في أزمنة مجزأة. تقسيم المناطق والتواريخ المشتركة باسم ضرورات عرقية متخيلة - وما من شيء أكثر واقعية من آثار المتخيل - كان من أكثر التجارب الصادمة و النموذجية [الباراديمية] في القرن الماضي؛ وهو تقسيم واسع الانتشار، بالفعل، الى الحد الذي يبدو فيه ان التعبير الاصلح له هو الذي جادل به الفيلسوف الهندي راتاير سامادار في عبارة "الأزمنة المجزأة" مقابل التعبير الاكثر انتشارا "الازمنة ما بعد الاستعمارية".

ومن الهند الى كوريا الى ايرلندا الى فلسطين، هذه المناطق المسلوخة حيةً والتي تلون خريطة العالم، قد جرى تشكيلها تشكيلا مربحا بفعل استراتيجيات التجزئة التي وضعتها القوى الكبرى، وفُرضت على انها الشكل المؤسسي للارادة الجيوسياسية المهيمنة عالميا. مع ذلك، لا تقتصر التجزئة على الجيوسياسة؛ بل تمتد افتراضيا الى كل حقل ومجال من حقول ومجالات النشاط الانساني المعاصر.

يعيش الفن خصوصا منفصلا عن الواقع الذي يسعى الى تمثيله. لهذا، ومن دون قصد، انتهى الأمر بكثير من الفنانين ذوي النوايا الحسنة اثناء سعيهم الى جذب الاهتمام الى مأساة وبلاهة تقسيم فلسطين، الى اعادة انتاج منطق التجزئة الموصدة نهايته، وانتاج صور "عن" التجزئة من دون إيلاء الاهتمام اللائق بالكيفية التي تحيط بها ازمئتنا المجزأة بكل دروب السعي الانساني المعاصر المشتمل على التمثيل الفني. ولا يمكن للفن، بطبيعة الحال، ان ينحّي التجزئة: فالامتيازات الرمزية وقيمة السوق يسندها اقتصاد الندرة، الذي يتعين الاعتراف بأنه يظل موضوعا لتفحص يقظ يقظة استثنائية. بيد ان ندرة يجري الحفاظ عليها اصطناعيا، من خلال حماية الاغراض الفنية المُسلّعة العالية القيمة، وابعادها عن عالم الانتاج الكثيف والتوزيع (ما يضمن قيمتها التبادلية)، ويسحب منها قيمتها

غريب الشكل؛ فهو ليس الشريط الذي يحتوي على علامات سميكة ورقيقة قرب بعضها بحسب الترميز العالمي المؤلف من ١٢ رقما والذي يؤكد هوية المنتج في الاقتصاد العالمي - لكن الذي يمكن ان تعترف به فقط اسرائيل والمنظمات غير الحكومية الاجنبية - لكنه ترميز من الواضح انه مزيف، كما لو انه اعتراف بأن تكامل السلع الفلسطينية في السوق العالمي محدود على الخيال.

العادية الشديدة للسلع هو ما يضيف عليها لواقعتها التامة عند "تصديرها" كمنتجات فنية - واحدة من الفرص المتاحة لتداول هذه السلع - وما يجري تسليط الضوء عليه يكاد لا يكون غياب السلع الفلسطينية من المتاجر الغربية الكبرى (بل عن أي متجر اجنبي كبير)، بل الوجود الخام للسلع هذه، وهو الامر المستحيل تمام الاستحالة. والفن واحد من الفضاءات القليلة المتاحة التي يمكنها ان تؤوي وجودا مستحيلا وغير قابل للنقاش في آن. لهذا السبب تواجهنا الصور المنتقاة بعناية من دون ان تفقد مباشرتها وبصمت اهما بعناد شديد، تواجهنا بما هو اسلوب عام وفي متناول اليد، لكن ايضا وبغربة كبيرة، بما هو غرض لتجاهل عميق ولرفض شعوري ثابت.

وعلى غرار كل خطوط الفصل، فالحد بين المرئي والمستتر يخضع لسيطرة "الشرطة". وهنا ايضا يتعين على الفن ان يأخذ في الاعتبار نظامه المتناقض الخاص لما هو مرئي: فإذا كان [العمل الفني] مرئياً بوضوح بصفته فنا، فسيكون نادر الظهور، أي انه سيكون ضمن بعض دوائر الرؤية. مهما يكن من امر، فبعد التضحية بقابلية الرؤية، يراوغ الفن السيطرة والتوجيه والتعليقات - باختصار، انه يراوغ "الشرطة". وبحسب ما صاغه جاك رانسبير في تعريفه الذي أضحى كلاسيكيا:

"الشرطة هي الشيء الموجود فوق كل نظام مجسد يحدد التقسيم بين وسائل الفعل ووسائل الكون (الكينونة) ووسائل القول، ما يعني ان بعض الاجساد موكل اليها، من اسمها ذاته، ان تحتل هذا المكان او ذاك، وأن تؤدي هذه المهمة او تلك؛ انه نظام للمرئي ولما يمكن قوله، وهو الذي يقرر ان بعض النشاطات مرئية وبعضها الآخر غير مرئي، وان خطابا معنا مسموع فيما يُسمع خطاب آخر كضجة".

التجزئة منظور اليها بهذه الطريقة ليست فقط موضوعا سياسيا في العمق؛ بل ان تحديها هو خلاصة الصراع السياسي الديمقراطي، في اقنوم الجيو - سياسة وفي اقنوم الفن.

